المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من أصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوَّلة

دفاع النساء عن النساء

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

مَن لنا بمن ينبئنا عما الجأ حضرة الفاضل الشهير الدكتور شبلي افندي شميل الى التحامل على جنسنا ففوَّق نحونا من كنانة علمهِ اسهماً كدنا لا نقوى على ردِّها لولا ان الحق يعلو ولا يُعلى عليهِ

فقد جاء في مقالتهِ التي عنوانها "المرأة والرجل وهل يتساويان" المدرجة في الجزء السادس والمابع من مقتطف هذه السنة على اقوال وادلة اكثرها طبيعية حاول بها اثبات كون المرأة لا يمكن ان تساوي الرجل بل هي منحطة عنهُ دائماً وقد اطلعت في العدد الماضي على ردود من قلم بعض الفاضلات جئنَ بها على افساد برهانهِ وتعزيز جانبنا ونحن على يقين من ان المنتصرين لنا كثيرون ولا يعدم الحق انصاراً

غير اني رأيت بعد النظر ان انطفّل مع قصر باعي على كتابة اسطر قليلة في هذا الشان تعزيزاً لجانب الحق ولكي لا يفوت حضرة الدكتور الفاضل ان المرأة وان كانت على رأيهِ ورأي انصارهِ (ان كان لهُ انصار) اخفّ عظاماً وادقّ عضلاً من الرجل الاَّ انها قادرة على الدفاع عن نفسها ولا يوقفها عن ذلك صلابة عظمهِ وغلظ عضلهِ

ورغبة في بسط الموضوع وجلاء البحث فيهِ اقسمهُ الى ثلاثة اقسام

(١) هل كانت المرأة في اول عهد الاجتماع مساوية للرجل

والجواب نعم. لانهُ من مقتضى النواميس الطبيعية ان القوة على العمل تكون بقدر عظم ذلك العمل ومن كثرت واجباتهُ واستطاع القيام بها كانت قوتهُ مساوية لتلك الواجبات على الاقل

واذا نظرنا الى واجبات المرأة الطبيعية بالنسبة الى واجبات الرجل الطبيعية اي واجباتها وهما على الفطرة نرى انها تفوقها كثيرًا ولذلك كانت المرأة من طبعها اقوى من الرجل وليس له ان يساويها لان الواجبات التي يفتخر بها الرجل الآن من سياسية وعلمية وتجارية وغيرها لم يكن لها وجود في ذلك العهد فكانت واجباته اذ ذاك مقصورة على تناول غذائه مما حوله من النبات والحيوان وهذا كانت تساويه المرأة به وزد على ذلك انها كانت تقوم بواجبات أخرى مختصة بها لا يتأتى للرجل القيام بشيء منها ومن النظر الى سائر الحيوانات العليا واعتبار قياس التمثيل نرى واجبات المرأة ازيد مما نظن بكثير لانها ربما كانت مضطرة ليس فقط لحمل المشاق الموما اليها بل كان عليها ان تأتي بالغذاء لصغارها الذين هم الصق بها مما برجلها ولاسيما في حالة الفطرة

على اني لا ارى داعيًا لزيادة الاسهاب في هذا القسم من الموضوع لان حضرة الدكتور يسلم بذلك كما يفهم مما جاء في سياق خطابه حيث قال في صفحة ٣٦٠ من الجزء السادس "ان المرأة تحط عن الرجل كلما كان اعرق في الحضارة والمدنية وتساويه او ترتفع عنه كلما كان اقرب الى البداوة والخشونة جسديًا وعقليًا" ويؤيد ذلك قوله في صفحة ٤٠١ من الجزء السابع "ان الاناث يفقن الذكور جسدًا وعقلاً في اوائل العمر لحد السنة الثانية عشرة" ولا يخفى ان هذا من الادلة القوية المبنية على ناموس العود الى الاصل . فالمرأة كانت في اوّل عهد الاجتماع الانساني اقوى من الرجل وعلى الاقل مساوية له

(٢) هل هي في الحالة الحاضرة مساوية له

نعم . والدليل على ذلك اننا اذا نظرنا الى اعمال المرأة والرجل رأينا لكلٍّ منهما اعمالاً مختصة به يصعب على الآخر القيام بها فلا يفتخر الرجل بعلمه وسياسته وصناعته وتجارته فان من اعمال المرأة ما يفوق كل ذلك صعوبةً ومقدارًا . ماذا نقول بتدبير المنزل أتظنه اقل اهميةً وصعوبةً من ادارة معمل من المعامل العظيمة ولا تحتقر سياسة العائلة "تلك المملكة الصغيرة" التي منها يقوم الملوك والانبياء والفلاسفة والخطباء والمفتتحون والمخترعون وابطال الحرب وكل ذلك من اعمال التربية التي تبرهن المرأة بممارستها اياها عمّا طبعت عليه من علوّ الهمة والصبر والمواظبة وحسن الادارة ما لو استعملته في ادارة الاعمال والسياسة لأتت باعظم النتائج . وقد صدق مَن قال "ان التي تهز السرير يسارها تهز الارض بيمينها"

وزد على ذلك اننا لو فرضنا تبادل الواجبات بين الجنسين لرأيناها اقدر على القيام باعمالهِ مما هو باعمالها فقد طالما سمعنَ عن نساء كُلِّفنَ باعمال الرجال ففُزنَ بها حق القيام فدخلنَ ابواب العلم والسياسة فكان لنا منهنّ طبيبات ماهرات وفقيهات بارعات وملكات

جنّ على مالكهنّ بالثروة والعظمة وكثرت في ايامهنّ الفتوحات فانشأنّ المستعمرات ووسّعنّ اسباب التجارة ونشّطنّ العلم فكثرت الاختراعات والاكتشافات كل ذلك لا يسعنا انكارهُ ونحن نشاهدهُ عيانًا فضلاً عما جاء به التاريخ عن كثيرٍ من مثلهِ وربما يقول جناب الدكتور (كما قال سابقًا) "لا نبعد ان تكون سيادتهنّ قد استنبتت لهنّ لاسباب أُخرى اما لارث ملوكي واما لنبوغٍ غير اعتيادي" فنحن لا نقول الخلاف لاننا نعلم ان الرجل منذ اتيح له وضع القوانين والشرائع وتفضيل نفسهِ على المرأة وهضم حقوقها واستيازاتها لم يعد يتهيأ لها تولّي المناصب العظيمة. ومرادنا مما تقدم انها لما استنبّ لها ذلك برهنت انها قادرة على القيام بعبئهِ وان عدم تولّيها اياهُ دائمًا ليس لعدم اهليّةٍ فيها بل لعدم مراعاة جانب الحق في معاملة الرجل لها

وبناء عليهِ نرى ان المرأة قادرة على القيام باعمال الرجل ولكنا قلّما طرق آذاننا امكانهُ القيام بواجباتها لان الحنوّ والصبر والمواظبة وعلو الهمة لم تبلغ فيهِ مبلغًا كافيًا يمكّنهُ من ذلك. وربما قال قائل فاذا كانت هذه حالتها ما لنا نراها لا تقف بازائهِ الاّ وقفة الضعيف الذليل فنجيبهُ ان الروابط التي اتيح للرجل وضعها جعلتها كذلك على تكرار الاجيال فوضع القانون وخصص نفسهُ بالافضلية فانكر عليها النفس التي يفتخر بها على سائر المخلوقات فهضمت حقوقها وذلّت وما نتيجة الذل الاّ الانحطاط والخمول ومما يؤيد ذلك انها لما أُعطيت لها بعض حقوقها ورفع عنها نير الذل ارتفع شأنها وصارت تتعاطى اعمالاً لم يخطر للاجيال المظلمة توهم امكانها كل ذلك وهي لم تحصل الاّ على بعض الحقوق فالمرأة في الحالة الحاضرة مساوية للرجل

(٢) هل تكون مساوية لهُ في المستقبل

نعم. اذا استمرّت الهيئة الاجتماعية على سيرها الحاضر نحو التمدّن الحقيقي القاضي بالمساواة بين أفراد النوع الانساني والآمر باعطاء كل ذي حقٍّ حقّهُ بموجب العدالة الحرة لانها اذا كانت لم تنل الاّ بعض حقوقها وقد تمكنت من مجاراتهِ فكم بالحري متى حصلت عليها كلّها فانها ستكون مساوية لهُ "اذا فرض انها لا تساويهِ الآن" اذا لم نقلهُ ولله حكم الاستقبال

وخلاصة ما تقدم ان المرأة مساوية للرجل واذا فرض عدم المساواة ربما كان ذلك من قبيل عدم امكان الرجل مساواتها والذي نعلمهُ ان حضرة الدكتور من انصار المساواة الحرة بين افراد الجنس البشري واملنا ان لا يجعل لمطالبي كتاباتهِ بابًا للشك في كونهِ من اقوى انصارها بل يزيدهم ثقةً على ثقةٍ واننا بفروغ صبرٍ ننتظر رأيهُ الآن فربما كان ما تحدّث بهِ بعض الناس صحيحًا وهو انهُ تنازل عن رأيهِ الاول كما قالت احدى المنتصرات لنا في الجزء الماضي

القاهرة مريم مطر

المرأة والرجل وهل يتساويان

حضرة منشئ المقتطف الفاضلين

انني تصفحت خطبة الفاضل الدكتور شبلي افندي شميل بما تستحقه من التروّي والامعان فاذا بها خزينة علمية جمعت من درر المعاني فرائد لا تنال الاّ بجهد البحث والتنقيب ومن البراهين القاطعة ما يدخل الآذان دون استئذان فيقع في الخاطر موقع الكلام الحق والقول الفصل

ورأيت تعزيزًا لجانب البرهان ان اعتب على ما اوردهُ حضرته بما لاح بخاطري على هذا الموضوع مستميحًا المعذرة على ما ربما ظهر مخالفًا من حيثية بعض الوجوه التي اوردها في سياق الكلام لا من حيثية النتيجة. وانّا كلينا في هذا الموقف نصير الحقيقة العلمية لا متناظران فيها. ويُرى من الخطبة المذكورة ان حضرته ساق الكلام فيها على ثلاث قضايا كبرى

القضية الاولى — "ان الانثى اشد من الذكر في الحيوانات السافلة واضعف منهُ في الحيوانات العالية ومساوية لهُ فيما كان بينهما" (صفحة ٣٦٥ من مقتطف هذه السنة). والنتيجة ان الرجل اشد من المرأة

فالأول وهلة يُرى ان النتيجة صحيحة من حيث كون الرجل اشد من المرأة. اما كون الانثى اشد في الحيوانات السافلة من الذكر ففيهِ نظر. والذي يلوح لي ان الانثى والذكر متساويان في القوة اصلاً ثم كلما ارتفعا في سلم النشوء انحطت قوتها عن قوتهِ كما يرى ذلك في الطير فانها فوقها من الحيوانات العليا. وان مهرة الصيادين يميزون ذكر الطير عن الانثى من ملاحظتهم شدة انتفاض جناحيهِ في محاولتهِ التملص من ايديهم وهو مقبوض عليهِ برجليهِ. ويظهر ان بعض السبب في اكتساب الذكر قوة اشد من قوة الانثى هو زيادة تمرنهِ في استعمال قوتهِ في الذب عن انثاه وهذا يرى جليًا في الحيوانات العليا مثل الاسود وغيرها التي تلتهم بينها مواقع عنيفة في الذود عن انثى تطمح اليها الابصار فتقتتل الذكور اقتتالاً عنيفًا الى ان تدور الدائرة على الاضعف فيستولي الاشد على الانثى ويمضي بها ظافرًا. ويعقب ازدياد التمرين ازدياد التغذية وبالتالي ازدياد القوة

هذا ولما كان القائلون بامتياز الانثى على الذكر قوة في الحيوانات السافلة لا بد لهم من مستند يعززون بهِ قولهم فنطالب الى حضرة الدكتور شميّل ان يفيدنا عن بعض مستنداتهم في ذلك وله الفضل. اما ما يشاهد من تغلُّب انثى النحل على الذكر عندما يضحي عادم النفع فيمكن حمله على سبب آخر من مثل مضافرة العدد الاعظم من الاناث حينما توجس خطرًا على العسل الذي

سيكون بعضهُ مؤونةً لولدها او غير ذلك وكيفما كان الحال فان تقرير حقيقة كهذه تقتضي زيادة تأهب وايراد الشواهد والتعاليل الكافية للقطع بصحتها وهذا ما نتوقعهُ من صديقنا الفاضل تعميمًا للفائدة

وما تقدم تبيانهُ من امتياز قوة الذكر على قوة الانثى يصح على الانسان ايضًا في حالتهِ العجيبة ثم كلما تقدم في سلم التشوه كلما قلت نسبة مقاومة المرأة لهُ في الاعمال الجسدية حتى اذا دخل طور الحضارة واستتبت لهُ احوال تكفيهِ عن مساعدة المرأة في اكثر الاعمال البدنية زادت نسبة قوتهِ عن قوتها الداعي ما تقضي بهِ الاحوال على المرأة من ملازمتها المنزل تدبّرهُ وتعتني بتربية اطفالها وما شاكل من الاعمال التي لا يتهيأ لها معها الحصول على قوة نظير قوة الرجل الذي أُتيح لهُ تارةً شق عباب البحار وطورًا قطع القيافي والقفار تارةً التفرغ لرفع الاثقال ومعاطاة الاشغال الشاقة وما ماثلها من الاعمال التي تكسبهُ زيادة قوةٍ عنها

القضية الثانية — "ان الذكر افضل من الانثى باجماع الحكماء والطبيعيين" (صفحة ٣٥٩) وهذا مقرّر كما بينهُ حضرة الدكتور مستندًا على اقوال العلماء في ذلك من ان القوى العقلية تابعة لحالة الدماغ او بالحري لمركز هذه القوى فيهِ وهو في الحيوان العالي اعظم في الذكر منهُ في الانثى

ومن المقرر ايضًا بان للقوى العاقلة علاقة شديدة مع البنية الجسدية بمعنى انهُ اذا تساوت القوى العاقلة في فردين بدًا ثم اخذت صحة الواحد تحط عن صحة الآخر وكان لكليهما احوال واحدة فالقوي البنية يمتاز بعقلهِ وهذا باعتبار كون الجسد آلة للعقل فكلما ضعفت هذه الآلة ضعفت مظاهر القوى العاقلة المتوقف نموها عليها . ولما كان قد تقدم البرهان على ان المرأة احط من الرجل جسديا فهي احط منهُ عقليا

ثم اذا وجهنا النظر الى حالة المرأة في هذا العالم من مثل قلة ميلها للتضلع في المعارف رأينا ما يؤيد القول باحطاطها عقليًا عن الرجل . ولقلة الميل هذه اسباب اخصها عدم تعليق امانيها في مستقبل ترجي الحصول فيهِ على مركزٍ مهمّ في العالم كالرجل — كأن تكون مثلاً مكتشفة او مخترعة او قاضية او سائحة او محامية الخ ولذلك فهي تقتصر في اخذ المعارف على القدر القليل بالنسبة للرجل مقدّرة بقياس التمثيل ان مستقبلها سوف لا يمكنها من معطاة ما يزيد عن تربية العائلة والقيام باعمال المنزل ولذا " فبينما الرجل يشتغل بالتاريخ والفلسفة والعلم تشتغل هي بمطالعة الاقاصيص وكتب الادب"

القضية الثالثة — " هل المرأة ادل خُلقًا من الرجل ام لا" صفحة ٣٥٨ . ومن هذه الحيثية الادبية اوافق حضرتهُ على انها " احيل واخدع من الرجل لانها اضعف منهُ والحيلة والخداع

سلاح الضعيف " وانها " اقل ارتكابًا للجرائم " وانها " محبة محسنة اكثر من الرجل " ولكني ميّال الى الخلاف في انها " قلما تفعل (الاحسان) الاّ لفرض ديني " . وعندي ان الداعي الاول لمحبتها للاحسان هو ما انفطرت عليه من الرأفة والشفقة واللطف ولين العريكة والانعطاف وما شاكل من الصفات التي ترمخ فيها من مجرد معاملتها الاطفال التي تستدعي كل ذلك . وان لطف بنيتها الفاضي عليها بتجنب ارتكاب الجرائم اكثر من الرجل ومعاملتها الصغار بما تقتضيه حالتهم قد اكسباها اخلاقًا حميدة اكثر من الرجل فهي تمتاز عليه ادبيًا

والنتيجة ان المرأة تمتاز على الرجل ادبيًا وهو يمتاز عليها جسديًا وعقليًا وبهذين لن تساويه او كيف يتهيأ لها مساواته وقد وضعت امامها الطبيعة نفسها مانعًا عظيمًا يشغلها فيقعدها عن ادراك بعض المطالب التي من شأنها ان تزيد في ارتقائها جسديًا وعقليًا . فاذا سلم ان هذا المانع لا يزول ابدًا فهي لن تدرك الرجل ابدًا

غير ان هذا لا يستلزم قنوط المرأة او كونها ليست قادرة على النجاح والتقدم بل يقتصر على تبيان حالها في المقابلة مع الرجل ومع تقدم الزمن ربما زادت نسبة ارتقائها الى ارتقائه او قلّت وفي كلا الحالين " لا يبلغ الظالع شأو الضليع "

القاهرة خليل سعد

الاحراش

كما نرى الامم المتمدنة ترغب في انماء الاحراش والغابات نرى خلاف ذلك بين الامم المتأخرة فان الانكليز من حين دخولهم هذه الجزيرة وجّهوا جانبًا عظيمًا من اهتمامهم لانماء الاحراش التي كانت قد لعبت بها ايدي المحتطبين واكلتها نار الرعاة . وهناك سبب عظيم يستدعي هذا الالتفات . فانهُ بكثرة الاشجار يعتدل الطقس و يتحسّن المناخ وتقع الامطار في حينها فتزداد خيرات الاراضي وتقل الامراض فتتحسّن حالة الاهالي والحكومة تنال جزاء اتعابها . وقد ابتدأت الجزيرة ان تشعر بهذا الفرق وان لم يكن في الوقت الحاضر كثيرًا الاّ ان المستقبل ينبئ بتحقيق الآمال

وجبال سوريا كانت مغطاة باحراش اشجارها كثيفة واغصانها غضّة لكن الزمان افنى اكثرها وايدي المحتطبين والمتّامين لا تكف عنها فان قسمًا كبيرًا من سكان لبنان المجاورين لتلك الجبال قد استولى عليهم الكسل فجعلوا الاحتطاب مهنتهم وعلة معاشهم فبعد ان كانت تلك الجبال مكسوّة بالاشجار الخضراء اصبحت جرداء خلاء معرضة لاشعة الشمس المحرقة والمعزى لا تدع صغار الاشجار تنمو لتقوم مقام تلك بتوالي الايام وبالنتيجة فقد فقدت سوريا احسن كنز لانهُ فضلاً عمّا للاحراش والغابات من الفائدة الشهيرة في نزول المطر وترتيب وقوعهِ في اوقاتهِ الضرورية

يوجد فائدة أخرى عظيمة الاهمية قلّما لاحظها الناس وهي فيما يتعلق بالزراعة لانهُ من المعلوم ان علة خصب السهول المحاطة بالجبال والاراضي المرتفعة متوقف على الاتربة التي تجرفها سيول الامطار من الجبال وتلقيها على الاراضي الواطية والخصب يتوقف ايضاً على غزارة المواد الآلية المحتوية عليها تلك الاتربة . ومن المعلوم ان الاراضي النامية فيها الاشجار تنمو بها النباتات وتكثر بها الحشرات والاجسام المكروسكوبية التي تتناول الغازات وتحلل العناصر وتحولها الى مواد آلية تدثر وتبقى في الارض وتُني خلافها وهكذا تتراكم في الارض وتمتزج بالاتربة التي تجرفها السيول كل شتاء وتلقيها سهلاً على الاراضي الواطئة او تذوب تلك المواد في ماء السيول والنتيجة واحدة وكلما تكاثفت الاشجار ازدادت هذه نموّاً والارض خصباً وكلما قلّت الاشجار قلّت تلك النباتات والاجسام الحيّة وضعفت نموّاً وبالنتيجة نقصت المواد الآلية. فلنأخذ سهل البقاع وبعلبك مثلاً نرى ان القسم الشرقي منهُ اقل خصباً من القسم الغربي والسبب في ذلك ان الجبل الشرقي عارٍ من الاحراش والامطار اقل وقوعاً ونرى في القسم الغربي ايضاً ان اكثر الامطار تقع من جهات زحلة الى قرب دير تحنيت وعانا ثم يقل الى قرب قرية الخربة ثم يزداد من هناك الى مشغرة وسبب ذلك ظاهر وهو ان في كلا القسمين اللذين يكثر بهما وقوع المطر تكون اشجارها اكثر وهما اكثر خصباً وهذا الامر قد لاحظتهُ بنفسي مراراً اثناء جولاني في تلك الجهات ومن الجهة الاخرى نرى انهُ يتسبّب ضرراً ايضاً من وقوعهِ بغزارة في القسمين المذكورين اذ يتجمّع ويقع بغزارة كلية في اماكن مخصوصة فيكوّن سيولاً تجرف الاتربة بقوّة عظيمة الى الانهر فتخسر الاراضي الفائدة المطلوبة . وقس على ذلك في اكثر السهول المجاورة الجبال والتلال التي كانت قديماً مغطاة بالاحراش كالاراضي المجاورة جبل الشيخ قرب راشيا الوادي ومرجعيون والحولة ومن الغريب ان ترى سكان اكثر هذه السهول المتسعة في حالة الفقر الكلي وعندي ان فقدان الاحراش من الاراضي المجاورة هو من الاسباب المهمة في تأخر حالة الاهالي . وبالنظر للظروف الحاضرة ولفقر السكان علماً ومالاً مع اتساع الاراضي لا يستطاع تعميدها فلا شيء يقوم بالغاية الاّ التفات ارباب الامور لذلك بتشديد الاوامر لمنع قطع اشجار الاحراش وتحميها ومن نظام اجرائي يمنع المحتطبين ورعاة المعزى عن الدخول اليها كما هو جارٍ في سائر الاماكن المهمة فلا يمضي زمان طويل الاّ وتعود ربى لبنان فتكلل بذاك الوشاح الاخضر وتعود الاراضي الى خصبها والاهالي لرفاهيتها فان من واجبات الحكومة ان تحفظها وتعتني بها وليس للاهالي الذين يدعون بهذه الحقوق ولا يعرفون لها نفعاً الاّ كونها طعاماً للنار فكل قرية تسابق الاخرى الى افنائها

قبرس احد قراء المقتطف